

## قراءة نقدية للكاتب الصهيوني الفرنسي روبير مزراحي

جوزيف سماحه

سنكتفي ، فيما يتعلق بمزراحي ، باستعراض آرائه السياسية ، متجنبين نقاشها ، خالصين الى آرائه الواردة في كتاب « ماركس والمسألة اليهودية » .

ان الهدف الذي نرعى اليه هو عرض رأي شبه متكامل لكاتب صهيوني يدمي الاشتراكية ، وفي الوقت نفسه ، تقديم ملامح رد ماركسي فعلي عليه . وهذه مهمة متواضعة لا تفترض الغوص في جزئيات كتاب « ماركس والمسألة اليهودية » اذ ان هكذا تحليل يستلزم كتابا آخر .

ان الدفعة الاولى من آراء مزراحي وارادة في بحث له بعنوان « اللاسامية الكائنة » ، وهو فصل من كتاب صادر عن دار ماسبيرو بعنوان « العرقية والاجتمع » ( ١٩٦٩ ) . هذا البحث ليس أكثر من سرد آراء واطلاق احكام بدون أي برهان او دليل — سوى بعض الملاحظات الشخصية — وفيه يعدد مزراحي أشكال اللاسامية المظاهرة والكائنة ( سيمود في كتابه « ماركس والمسألة اليهودية » لتركيز الهجوم على اللاسامية الأشد خطرا : « اللاسامية اليسارية » ) . قلنا ان مزراحي في تقديمه لفرضياته يظن انه يقدم مسلمات لذا مانه لا يتحرج ابدا من اعتبار بعض المظاهر الخارجية كتعبير عن اللاسامية مستندا في ذلك الى تجربته الشخصية فحسب ، وهكذا نراه يدرج ضمن خصائص اللاسامية الكائنة خاصية الضيق . فيقول « انه اذا ذكرت كلمة يهودي ، امام احدهم فتغيرت بعض ملامحه ، فهذا دليل على لاساميته الخطرة » . ( لا يهتم مزراحي اذا كان تغير هذه الملامح يدل على تعاطف مع اليهود . فهو يرى حتى في هذا التعاطف لاسامية كاملة ) . السمة الثانية من سمات اللاسامية الكائنة هي الصمت . اذا ما هاجم احدهم كائنة

ان أي نقاش مع الكاتب الصهيوني « الاشتراكي » روبر مزراحي من خلال كتابه « ماركس والمسألة اليهودية » قد يؤدي ، عدا عن تبيان الطلاق التام بين مزراحي والاشتراكية ، الى اعتبار هذا الكاتب واحدا من التيار الصهيوني المتأثر بالافكار الماركسية والذي يحاول التوفيق بين نزوعه الصهيوني الفعلي و « ايدولوجيته الاشتراكية » المعلنه . الا ان أي اطلاع على الافكار السياسية التي يسوقها مزراحي في عدد آخر من الابحاث والمقالات سيؤدي الى نزع آخر الاتمة « التقدمية » عن هذا التوجسه الصهيوني . فمزراحي يطرح ، في عدد من مقالاته ، آراء تتجنب الاحزاب الصهيونية طرحها ( من غاحال حتى الملبام ) . وهو كما سنرى ، يقطع صلته بما اتفق على تسميته « باليسار الصهيوني » ليدافع عن اسرائيل كما هي ، رافضا اخضاع أي تصرف من تصرفاتها للنقد ، وذلك بحجة انها موجودة في خطر الإبادة . ويصل مزراحي ، في آرائه التي سنعرضها ، الى حد يفقد معه الكلام — كلامه — وظيفته الاساسية الدعاوية : الدفاع عن اسرائيل من منطلق اشتراكي ، تقدمي ، ثوري ، لا بل يفقد هذا الكلام كل وظيفته .

فالايديولوجية التي يفترض فيها ان تستعير من الواقع بعض ملامحه لتفخيمها وتعميقها وتلطيها محل الواقع نفسه — في ذهن البشر ، وحياتنا في سلوكهم — تقع في مأزق اذا ما امتنع الواقع من تقديم أي عنصر قابل للتاويل والتفسير . وهذا هو بالضبط المأزق الذي يقع فيه مزراحي ، وهو المأزق الذي يجعل من محاولات هذا الاخير لتجميل صورة اسرائيل عينا لا طائل تحته ، ويدفع بهذه المحاولات الى الايغال في افتراءها عن الواقع حتى تصل الى حدما الاقصى ، حدما الكاريكاتوري المضحك .